من زاوية تربوية
ولباس التقوي ذلك خير

إعداد
أ.د/ خالد محمود محمد عرفان
عميد كلية التربية بنين بالقاهرة

من زاوية تربوية
ولباس التقوي ذلك خير

اللباس نوعان ؛ لباس مادي ، والآخر معنوي؛ فالأول يستر عوراتنا وسؤاتنا ويقينا الحر والبرد ، قال تعالى: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُون " (النحل : آية 41) وقال العلماء المقصود بالحر هنا الحر والبرد معا.

أما اللباس المعنوي هو ذلك الستر الرباني لما في النفوس من أفكار سلبية توحي بها النفس أو يوسوس بها شياطين الإنس والجن؛ فهذا الستر يجعل الإنسان يبدو في صورة حسنة طيبة أمام الآخرين، ولو نزع عنه هذا الستر لاشمأزت منه النفوس ونفر منه الناس؛ وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ" (الأعراف: آية 26)؛ حيث تأتي التقوي فتجعل بينك وبين ما يغضب الله حاجزا وساترا ، فتمنح صاحبها لباسا من الحياء؛ فتنضبط المشاعر ويقوم اللسان ويوجه السلوك وتنضبط الغرائز ويضفي على صاحبه سترا جميلا يزدان به في الدنيا وينجو به في الآخرة.

ورغم أن الستر بنوعيه نعمة من الله إلا أن البعض فضل إنكار هذه النعمة، فعرَّى ما حرم أن يعريه من جسده ، وأنكر الستر المعنوي الذي منحه الله إياه، فأخذ يجاهر بالذنب قولا وفعلا، في وقاحة لم نعهدها وفجر لم نألفه، دون مراعاة للدين وقيم المجتمع ومشاعر المواطنين، وأصبح لا يستحي، بل يدعي كثيرا بأنه يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق رسائل سامية كالحرية الشخصية وحقوق الإنسان وحقوق المثليين ، وعدم اضطهاد الأقليات.. وغير ذلك، مستترين وراء مصطلحات براقة جوفاء كالمدنية والتحضر والعصرية.

ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد بل يحاولون فرض أفكارهم على المجتمع ، ويهاجمون كل من لا يتفق مع آرائهم من رموز المجتمع الدينية والعلمية والوطنية في غياب تام للمحاسبة من الجهات المعنية.

وقد أطل علينا منذ أيام بعض تلك الوجوه التي لا تعرف الحياء، ولا تحترم الرموز، ولا تعرف أصول الحوار والنقد البناء بإثارة موجات من الغضب نحن في غنى عنها الآن ؛ وذلك بمهاجمة فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوي عالم عصره وفيلسوف زمانه ورائد المفسرين في القرن الحالي، وكان أولى لهم توظيف أقلامهم وألسنتهم في هذا الوقت بالذات لشحذ الهمم وتوعية المجتمع بما نمر به من ظروف صعبة والعمل على إزكاء روح الوطنية والتكافل المجتمعي ونشر القيم الاقتصادية اللازمة لهذه المرحلة بدلا من إشعال نيران الفتن على شبكات التواصل الاجتماعي والقنوات الاعلامية المختلفة، وكأن هناك من يوجههم لهذا الأمر بشكل متعمد ومقصود وممنهج لغرض في نفسه، أو سعيهم لكسب شهرة زائفة غير جديرين بها.

وأقول لهم شكرا على مهاجمتكم للإمام ؛ فقد أسديتم له صنيعا لم يطلبه ومنحتموه حسنات لم يتعب فيها؛ فقد ماجت صفحات التواصل الاجتماعي بملايين الصور والدعوات لفضيلة الإمام نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته، وأعدتموه إلى الحياة ثانية وذكرتمونا بأنه كان بيننا ذات يوم عالم جليل وعقلية فذة ومفكر موسوعي افتقدناه منذ سنوات، وحققتم له دعاية إعلامية لا يمكن لأي مؤسسة القيام بها ولو أنفقت الملايين؛ فرفع الله بتلك الدعاية شأنه أكثر بين الناس.

أما أنتم فلم ترجعوا سوى بخفي حنين وبخيبة وخسارة ونقمة من المجتمع كله، ولن تذكروا إلا في قوائم المخلفات، ولن تنالوا إلا خيبة وخسرانا، وقد انطبق عليكم قول الله تعالى: " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا (103) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) (الكهف: آية 103-104)

اقتراحي لكم..

ضعوا خطة للمستقبل ، تناولوا الموضوعات التي تثيركم وتخرج ما قلوبكم وتهتك ستركم؛ فهاجموا الإسلام، واتهمو الأزهر بالتخلف والإرهاب، هاجموا التراث الفقهي، والسنة النبوية وشككوا في مصادر التشريع، هاجموا فضيلة الإمام الأكبر ومناهج الأزهر، وجامعة الأزهر، والأوقاف، ودار الإفتاء ، وعلماء الإسلام كالغزالي ، والشعراوي وعبد الحليم محمود، وغيرهم ، ولا تستعجلوا ستحصدون ما تحرثون قريبا؛ وستهركم النتائج وستصدمون؛ انتصار للاسلام وقيمه ورجاله على انحلالكم وفجوركم في الدنيا، وخسارة وندامة لكم في الآخرة ، وستبحثون حينئذ عن ملجأ فلن تجدوا، فلا مفر ولا ملجأ من الله إلا إليه:" يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (آل عمران: آية 30)

ورسالتي إليكم..

إذا كان الإسلام والأخلاق والقيم والعلم والعلماء والمؤسسات الدينية والوطنية وتراثنا الإسلامي وثقافتنا وحضارتنا رجعية فإنني أقول لكم بكل فخر" أنا رجعي ويشرفني أن أكون كذلك".

لقد مزقتم ستر الله عليكم بأفعالكم، ووقفتم أمام المجتمع عرايا تنبشون القبور بكل وقاحة دون مراعاة لدين أو وطن أو أخلاق.

افعلوا ما شئتم سبوا واتهموا كما تريدون فلن يضر السحاب نبح الكلاب، واعلموا أنكم أدوات توجه وكروت تستخدم سيلقى بها في سلة المهملات بعدما تؤدي دورها على خشبة المسرح في مسرحية هزلية وضيعة سيبصق الجمهور على ابطالها وكاتبها ومخرجها.

نصيحتي لكم ..

ما زالت الفرصة أمامكم للعودة للطريق الصحيح لتكونوا ممن يثرون العقول بالعلم والمعرفة قبل الموت والأفول، واستمتعوا بستر الله لكم من الذنب وستر الله لكم إذا وقعتم في ذنب، ولا تجاهروا به ، فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كلُّ أُمَّتي مُعافًى إلا المجاهرين، وإن من المجاهَرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستَرَه الله عليه، فيقول: يا فلانُ، عَمِلتُ البارحة كذا كذا، وقد بات يستُرُه ربُّه، ويصبح يكشف سِترَ الله عنه) متفق عليه.

هذا وبالله التوفيق

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين بالقاهرة